

الذي سيتحول الى بداية فعل اجتماعي في رواية « ميادون في شارع ضيق » .

البطل وصيغة المفرد

تدور احداث الرواية باسرها في ذاكرة امين . ففي شارع معتم ترافق امين في رحلة اكتشافه للمدينة واسترجاعه لتداعيات ذكرياته التي تشكل عصب الرواية . نبدأ به يقابل الشزطي . الذي سئم عمله ، ثم تدخل القهى وفي طريق الخروج تصادف متسولا ، وتفتحص مع امين ظله الطويل في الليل ... العلاقة التي يقيمها امين مع عالم الشارع الذي يقوده الى منزل عنابت هانم هي علاقة تماس خارجية . انه يلامس الاشياء والناس من الخارج ، دون ان يقيم لهذا النوع من العلاقات أي نظام ضابط . لا تزال امام الملاحظات الاولى التي ترصف الاشياء الى جانب بعضها ، تصفها دون ان تكشفها . لكن هذه العلاقة ليست سوى المبرر لايحاط عالم البطل الداخلي ، ايحاط ذكرياته التي تمتزج بهذا النوع من العلاقة بالعالم ، لتثبت عيب ولا معنى لنمط معين من الحياة ، في محاولة لرسم اطر تخطيطها .

صيغة المفرد ، تختلط بالذكريات ، بل هي ببررها الوحيد . لذلك نغتنق امين بطل واحد ، هو مركز التحولات في الرواية . فالتحولات الخارجية العميقة ، ليست سوى محركات لتفجر زمنه السيكولوجي - الفردي . وانطلاقا من هنا يصلح امين الواقع فيها يحاول تغييره .

الفرد ، هو بطل نموذجي ، تأتي الاحداث الواقعية لتؤكد نموذجيته هذه . انه يمثل فئة اجتماعية - المثقف - تحاول التعامل مع الواقع وتغييره . فامين هو روائي سيكتب قصة حبه لسمية في رواية مستقلة . وهو هنا ، في مخاطبته لنا ، كأنه يرسم مسودات هذه الرواية ، التي لن تكتب ، بل ستصبح مؤشرا واقعا في تحرره من كابوس الماضي والتقاليد .

عندما يكون البطل ، فردا - نموذجا ، يتحول العالم الموضوعي الى عالم استبطاني ، وتحتل الذكريات ، حيز الممارسة ، فلا موضوعية الراوي هي النتبة المنطقية للموضوعية اطار الرواية . الاشخاص الاخرون الذين يشاركون امين في عالم الرواية ، لا نتعرف عليهم الا في ذاكرته

او في استنطاقه لهم . من هنا يحتل الحوار الاستبطاني هذا الحيز الهام في رواية جبرا . الحوار ليس سوى محاولة ذرايعية ، لوصف نمط من العلاقات الاجتماعية ، وللاشارة الى المنزلق الذي وصل اليه امين ورفاقه في القهى ، حين يتعمون ضحية سكونيتهم . هكذا تكون الرواية موقفا ، يتحاول على نفسه بالشكل ، وهذا ما يقوله جبرا بشكل واضح في النص : « اما الرواية فكنت ابغى منها ما اروح به عن ضيق صدري . كما انني جمعت منها ذريعة للتعبير عما اريد قوله ، اذ قسمت نفسي الى اشخاص كثيرين ، يمثل كل منهم جزءا من هذه النفس الملأى بالمتناقضات » . والموقف هذا هو من ناحية اخرى محصلة تجربة واقعية ، لكن التجربة لا تتكلم عن نفسها بلتفتها الخاصة . انها في مكان استرجاع نفسها من خلال الذاكرة . لذلك تأتي التجربة جاهزة ، اي ان معاناة الشكل الروائي لا تزال على طرف مسألة الشكل . انها تريد فقط تأكيد الاول من خلال التخلي النهائي عن الوعظية وحكمة القصة . اي انها في سبيل تأكيد الشكل الفني ، تتخلي عن معاناة صياغته . فتأتي الاحداث مهوضعة في الذات وقبسه نهائية . ولا ينقذ سكونية هذا التنبط القصصي سوى صوت الحريق والنفعل الختامي الذي يعيد صياغة دلالة الرواية بشكل جديد .

بين ماضيين

يعيش امين في ماضيين . ماضيه الشخصي وماضي اسرة ياسر العريقة . في منزله وفي الجريدة التي يعمل فيها يمزج ماضيه بشكل دائم ، فالعلاقة التي ربطته بسمية ، تتحول الى حزن يومي . وفي منزل ال ياسر يعاني كل مساء محاولة كتابة تاريخ اسرة اقطاعية عريقة . يعيش مع عنابت هانم بين الاوراق القديمة والملفات المليئة بالغبار . الاساسي في بنية الرواية هو هذا التوازي الذي يقيمه جبرا بين ماضيين يتقاطعان في شخصية امين . الماضي الاول هو ماض ذاتي . حب يبدأ تحت امصار الريح والامطار بفتاة تنتمي الى طبقة اجتماعية اخرى (برجوازية كبرى) ويستمر هذا الحب في تهرده هذه الطبقة على نفسها ، تهرده سمية على والديها . وهربها مع امين والزواج منه . لكن هذا النمط الرومانسي من العلاقة ينهار وحده